ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

عن التخبط التركي وأزمة الرؤية

حسام مطر

لم يخطر ببال وكلاء واشنطن في المنطقة - ولا في أسوأ كوابيسهم - أن يحسم "السيد" الأميركي نقطتين أساسيتين لطالما شكلا لب السجال حول دورهم فيما يجري في سوريا. جو بايدن - نائب الرئيس الأميركي - قالها بوضوح، حلفاؤنا السعوديون والأتراك مسؤولون عن ظهور التطرف في سوريا، وهم المسؤولون عن إشعال "حرب سنية - شيعية بالوكالة". صحيح أن الرجل اعتذر تحت وطأة الحرج الدبلوماسي، ولكن اعتذاره مخصوص بإعلان الفكرة وليس الفكرة ذاتها. الحملة الصحفية من الإعلام الخليجي - التركي على بايدن كانت كوميدية هزلية، أحدهم قال ما معناه: "عيب عليكم أن تصدقوا هذا الإمبريالي"، تخيل أن وكيلاً أو عميلاً لواشنطن يرمي بهذه الحجة.

بالتأكيد يدرك الأميركي جيداً وبالتفاصيل الدور التركي بالتحديد فيما يدور في العراق وسوريا، فقد ظهر أن الاستخبارات الأميركية حذرت الرئيس أوباما منذ مطلع العام الحالي من نية داعش التمدد في هذين البلدين. ومن الموثق حجم التعاون والتبادل الاستخباري بين الأتراك والأميركيين سواء من داخل الناتو أو بالعلاقات المباشرة.

تدل التحولات والإخفاقات التي تتعرض لها السياسة الخارجية التركية في عهد حزب العدالة والتنمية الى قلة خبرة ونضج فيما يخص الشرق الأوسط. إنطلقت هذه السياسة من مثاليات طوباوية (أطروحة أوغلو حول "صفر مشاكل"

باتجاه طموحات مبالغ بها تتجاوز حقائق المنطقة (إخضاع المنطقة لنفوذ الإخوان المسلمين تحت ظل الأردوغانية) ثم وتحت وطأة الفشل انتقلت الى مرحلة "نشر الخراب" (رعاية داعش). ما لا تستطع الحصول عليه، أحرقه. هذه هي حكمة أردوغان.

أراد أردوغان نسخ التجربة الأميركية في أفغانستان بعد الغزو السوفياتي. تبنى الأتراك فرضية أن قوة النظام في سوريا لا يمكن كسرها إلا بقوة متطرفة عقائدياً، مربكة إستراتيجياً، وفعالة عملانياً، فكانت القاعدة ومقاتلوها الأجانب - لاحقاً داعش - هم الخيار الأمثل. وقد أثبت هولاء فعالية ميدانية من خلال نجاحهم في السيطرة على أغلب النقاط الإستراتيجية (مطارات - ثكنات) في الشمال السوري. إلا أن هذا هو الشق الأول من السيناريو التركي.

إعتقد الأتراك أن نجاح هذه الجماعات المتطرفة في إسقاط النظام وتمددها سيضعها مباشرةً في صدام مع الجميع، مع المعارضات الأخرى ومع الغرب الذي يستحيل أن يتعايش مع هذا المستوى من الحضور "الجهادي المتطرف" في الجغرافيا السورية. كيف يمكن حينها مواجهة هذه الحالة؟ من هي القوة الأكثر حضوراً على المستوى العسكري للعمل في سوريا؟ من هي القوة الأكثر تأثيراً على "المعارضة الإسلامية البديلة"؟ تركيا هي الحل، حينها، سيعرض الأتراك خدماتهم على النظام الدولي لقيادة عملية القضاء على التطرف في سوريا وإعادة تشكل النظام والدولة السورية وفق المصالح التركية، وهذا ما سيشكل "رأس جسر" نحو كل المشرق العربي.

مثلاً، يمكن الآن ملاحظة مستوى الجهوزية والحافزية التركية لعرض وتسويق هذه الفكرة في الشمال السوري، أي حيث نجح المتطرفون بالتمدد، وذلك تحت عنوان "المنطقة الآمنة". بناء على ما تقدم يمكن فهم جزء من التردد والقلق التركي بخصوص "التحالف الدولي" الذي أعلنته واشنطن، لأن الأتراك كانوا يخططون لتحالف يعمل وفق أجندتهم وتحت قيادتهم وبمباركة من الأميركيين وبغطاء من مجلس الأمن إن أمكن. يهوى أردوغان دور "البطل المخلص". يدرك الأتراك أن السيناريو الأميركي في الشأن السوري لا يختلف عما جرى في العراق، تسوية تقاسم سلطة تؤدي لتعاون في مكافحة الأرهاب وتذهب حصة التسوية للسعوديين مجدداً، فيما تجمع تركيا الفتات.

المسار الحالي للسياسة الخارجية التركية يضعها في مواجهة مع الجميع

إن المسار الحالي للسياسة الخارجية التركية يضعها في مواجهة مع الجميع تقريباً، لأنها تعمل وفق منطق "الأرباح النسبية" أو "اللعبة الصفرية"، أي أنها تريد الربح الشامل، وهذا ما يقلص من حدود تعاونها مع سائر القوى الإقليمية. بمعنى ما، تركيا هي قوة جديدة في المنطقة العربية، في حين أن كل من السعودية وإيران أسسا شبكة مصالح وعلاقات نفوذ واسعة، ما يضع تركيا في تنافس مع هاتين القوتين. والأهم أن كل تمدد تركي هو على حساب السعودية أولاً نظراً لصبغتهما السنية، هذا ما شهدناه في مصر مثلاً.

وعليه كل تطور في التسوية السعودية - الإيرانية، سيزيد من الجنون التركي. السعودية خصم قابل للإشباع لأنه محكوم بالقلق، فيما الأتراك خصم شره كونه محفز بالطموح والعنجهية. وهذا أيضاً عامل تفسير إضافي لتقدم المسار السعودي - الإيراني في مقابل شبه جمود إيراني - تركي. لا شك أن تركيا لاعب إقليمي من الصف الأول، إلا أنها تعاني من أزمة رؤية، طموحاتها أكبر من حقائق المنطقة، التواضع هو الدرس الأهم في الشرق الأوسط، وهنا مهلكة الأتراك. تركيا مارد إلا أن قدميه من خزف، كما تمثال نبوخذ نصر في عالم الرؤيا.

النصرة وداعش تعملان معاً في لبنان

رضوان مرتضى

بكبسة زر، اشتعلت طرابلس. أسماء المطلوبين نفسها تتكرر. في الشكل، معركة المسلحين خاسرة حكماً. لكن توزيع الأدوار بين المجموعات المعادية للجيش يشي بأنّ شيئاً ما يحضّر في الخفاء

"هي بشائر المعركة الكبرى في لبنان"، بهذه العبارة يجيب قيادي إسلامي عن سؤال: "ماذا يجري في طرابلس؟". معلومة قد توحي بشيء من المبالغة، ولا سيما أن المعطيات الأمنية تكشف أنّ "أعداد المسلحين الصادقين بخوض المعركة في الشمال لا تتجاوز العشرات"، هذا إذا استثني النازحون السوريون المؤهلون لحمل السلاح. يعزّز ذلك نأي الشارع الطرابلسي والشمالي بنفسه ووقوفه إلى جانب الجيش، أقله في الاشتباكات التي وقعت خلال اليومين الماضيين. غير أن المصدر الإسلامي المقرّب من "جبهة النصرة" لا يتوقف عند هذه المعطيات، مؤكداً أنّ "ما كان سابقاً يختلف عن الآتي". ويكشف أن "ما يحصل في الشمال يقوده شخصياً الشيخ أبو مالك التلي"، مشيراً إلى أن شادي المولوي وأسامة منصور بايعا "النصرة" على السمع والطاعة.

ويستدل بذلك على التسجيل الصوتي للمولوي الذي قال فيه إنه توافق مع المشايخ على تسليم الجندي المخطوف في باب التبانة فايز العموري، لكن أبو مالك رفض. وبالتالي، اختار المولوي النزول عند قرار أميره. أما ما يردده مشايخ هيئة علماء المسلمين عن احتمال التوصل إلى هدنة أو تهدئة، فيردّ بأنها آنية لن تصمد قبل أن تشتعل المواجهة مجدداً. ويعزز هذه الفرضية تزامن تصعيد "جبهة النصرة" في القلمون وكتائب عبد الله عزام معاً.

الأولى تضغط بالعسكريين الأسرى لديها، فيما الثانية على لسان الشيخ سراج الدين زريقات يهدد بالقول: "نحن على مشارف انتفاضة سنية تقتلع جذور الظلم". وأضاف: "استعدّوا لردود أفعالنا الطبيعية لرفع الظلم عن أهلنا في لبنان"، علماً بأن المصادر تتحدث عن "توحيد صفوف الثوّار في القلمون من أجل الانقضاض على قرى البقاع الشمالي". وتشير إلى أنّ "ما يجري في الشمال هو عملية إلهاء للجيش وتصويره على أنه ضد أهل السنّة وتشتيته عبر حرب الشوارع في أماكن مختلفة".

وعليه، كان ولا يزال سيناريو إعلان عاصمة الشمال إمارة إسلامية هاجساً يؤرق أيام الأجهزة الأمنية. أما عن شرارة إشعال المعركة في طرابلس، فتكشف المعلومات الأمنية عن "وثيقة صادرة منذ عشرين يوماً بناءً على معلومة مخبر تتحدث عن حصول اجتماع بين قادة المحاور للتحضير لبروفة انتشار أمني أمام مراكز الجيش بناءً على أوامر من أبو مالك التلي". وتشير المعلومات إلى أن تحرّكات الجيش تمّت استناداً إلى هذه المعلومة التي جرى تعميمها.

وتلفت المعلومات إلى أن توقيف أحمد سليم الميقاتي جاء بالصدفة، كاشفة أنّ هاتف الجندي الفار عبد القادر الأكومي الذي كان موضوعاً تحت الرصد شغّل ثم أقفل، فجرى تحديد موقعه. وبحسب المصادر، فإن عملية التوقيف هذه عجّلت بالسيناريو الذي كان يجري التحضير له. وعلى هذا الأساس، دعا الشيخ خالد حبلص من على منبر مسجد التقوى في طرابلس إلى "ثورة سنية". استجاب لها قرابة ثلاثين شاباً في باب التبانة يتبعون لكل من شادي المولوي وأسامة منصور وأحمد كسحة وعبد الله الجغبير الملقب بـ"أبو هاجر". وكذلك الأمر حصل في محلة الزاهرية. في تلك الأثناء، صادف مرور دورية من فوج التدخّل في الجيش، استهدفها المسلحون الغاضبون. فوقع اشتباك بين أفراد الدورية والمسلحين الذين هربوا في اتجاه الأسواق القديمة. وبحسب مصادر إسلامية، فقد تلقى ذوو الموقوف الميقاتي اتصالاً من رقم مجهول أبلغهم فيه أن "أبو الهدى" توفي تحت التعذيب في وزارة الدفاع، طالباً إليهم التوجه في اليوم التالي لتسلم جثته. وتجدر الإشارة إلى أن الموقوف المعروف بـ"أبو الهدى الميقاتي" يوالي تنظيم "الدولة الإسلامية".

وتشير المعلومات إلى أن تنظيم "الدولة" عيّن أميراً له في لبنان أخيراً بايعه الميقاتي، لكن هويته وكنيته لا تزالان سريّتين لأسباب أمنية، علماً بأن الأمير المذكور ليس معروفاً لبنانياً. وتجدر الإشارة إلى أن مقاتلي "النصرة" و"الدولة" يعملون معاً في لبنان، ولا يمكن في أحيان كثيرة تحديد التنظيم الذي ينتمي إليه مقاتل ما.

لكن يمكن تقسيم المجموعات التي تقاتل في الشمال وفق الآتي: في الزاهرية، بقي سوق الحديد والنحّاسين تحت سيطرة الجيش، فيما انتشر المسلحون في الشارع العريض وسوق الكندرجية وسوق الذهب والبالة خلف المسجد الكبير. أما في باب التبّانة، فقد تحرّكت المجموعات التابعة لكل من منصور والمولوي وأبو هريرة الميقاتي، نجل الموقوف أبو بكر الميقاتي، لاستهداف الجيش، إضافة إلى عشرات السوريين الذين بايعوا التلي أميراً. أما مجموعة حبلص، الذي تشير المعلومات إلى أنه مقرّب جدّاً من "النصرة"، فقد تحرّكت في الزاهرية وهي المتورطة باستهداف الجيش. وأمام نوعية الأسلحة التي جرى ضبطها في مسجد هارون وباب التبانة وكميتها، تحرّك الجيش فقطع الطريق كليّاً بين دير عمار والعبدة. هذا الإجراء غير المسبوق، بحسب مصادر طرابلسية، منع مرور السوريين نهائياً، سواء كانت أوراقهم قانونية أو لا. كذلك أقيمت حواجز داخل المدينة. وكل ذلك لتلافي احتمال تحرّك نازحين سوريين عزّل والتحاقهم بمناطق الاشتباكات حيث يزوّدون بالأسلحة. وقد عزز هذه الفرضية عثور الجيش على مخبأ خلف مصلى الأنوار يحتوي على كمية كبيرة من الأسلحة (٢٩ قاذف أر بي جي، ٢٠ رشاش بي كي سي، ٥٠ رشاش كلاشينكوف، وقنابل وعبوات محلية الصنع مع كمية كبيرة من الذخيرة).

أمام تسارع الأحداث شمالاً، تستعيد قيادات إسلامية متشددة، أحداث نهر البارد، رغم مرور ست سنوات على وقوعها. تتحدث عن "خذلان" الشارع الطرابلسي ومشايخه لتنظيم "فتح الإسلام"، تشير إلى أن رهان الجيش اليوم منعقد، كما رهان المجموعات المتشددة، على البيئة الحاضنة. كلاهما يعوّل عليها لمساندته.

مفاوضات مع الأردن لتزويد الجيش اللبناني بالسلاح؟

عماد مرمل

من الشمال وعرسال في لبنان، الى سيناء في مصر، مرورا بسوريا والعراق وليبيا واليمن.. تبدو الحرب واحدة بجبهات متعددة

تخوض الجيوش في هذه الدول مواجهة مشتركة، حتى يكاد يصح القول ان أي إنجاز أو إخفاق لهذا الجيش او ذاك، إنما ينعكس تلقائيا على البقية، بعدما التهم الارهاب الحدود الجغرافية وفرض على من يستهدفهم معركة وجود

والمفارقة، ان الربيع العربي الافتراضي انطلق أساسا قبيل سنوات من توق للتمرد على "ديكتاتورية الجيوش"، فإذا بـ"ديكتاتورية الارهاب" تعيد تعويم أدوار هذه الجيوش، وتوصل بعض قادتها الى السلطة مجددا

وأبعد من ذلك، أصبحت غالبية جمهور الربيع العربي "النظري" تغلّب الامن على الحرية، مع تمدد العنف في مختلف الاتجاهات، ليتقدم بذلك همّ استعادة الاستقرار على حلم تحقيق الديموقراطية

بين طرابلس الفيحاء في الشمال اللبناني، وطرابلس الغرب في ليبيا، وعين العرب في سوريا، والموصل في العراق، والمحافظات الساخنة في اليمن.. أكثر من خيط واحد. هو صراع واحد بمنازل كثيرة

لكن، وبرغم هذا المشهد المتفجر من المحيط الى الخليج الفارسي، لا يزال البعض مصرا على تقزيم ما يجري في لبنان، ووضعه في إطار رد الفعل على التدخل العسكري لـ"حزب الله" في سوريا، متجاهلا دلالات هذا الصراع المحموم في المنطقة، وقافزا فوق السؤال المطروح باستمرار: هل يتواجد الحزب في الموصل وجبل سنجار وكوباني وبنغازي وسيناء، حتى تكون هذه المناطق عرضة للاستهداف الارهابي؟ وما علاقة الحزب بالاكراد والمسيحيين والايزيديين والسنّة على امتداد هذه المساحة حتى يدفعوا ثمن التطرف التكفيري؟

والأسوأ، ان هناك من لا يزال متمسكا بإعطاء طابع مذهبي للمعركة مع المتطرفين في لبنان ووضع جانب مما يحدث في سياق مواجهة شيعية . سنية، بغية التوظيف السياسي وتحقيق المكاسب الفئوية ورفع الشعبية والمزايدة على الحليف والخصم في آن واحد، في حين ان الحرب على الارهاب هي عابرة للهويات المذهبية والجغرافية، بفعل عدم تمييز المتطرفين بين ضحاياهم، بعدما بات كل "آخر"، بدءا من المعتدل السني في دائرة التصفية

ولئن كان اللعب على الاوتار المذهبية ممكنا في لبنان وسوريا والعراق واليمن نتيجة التنوع في التركيبة السكانية ما يسمح للالتباس ان يأخذ مداه، فماذا عن مصر وليبيا، حيث الانتماء المذهبي واحد لدى القوات المسلحة والمجموعات المتطرفة، وماذا عن السعودية التي اعلنت الحرب على "داعش" و"النصرة"؟

وإزاء التحدي المصيري الذي يواجه لبنان بعد إدراجه من الارهاب التكفيري في "بنك الاهداف"، تحول الجيش اللبناني الى نقطة ارتكاز في المواجهة، برغم النقص الذي يعاني منه في العتاد النوعي وأحيانا في الغطاء السياسي

وإذا كانت هبة الثلاثة مليارات دولار اميركي قد "ضاعت" حتى الآن في "الأنفاق" السعودية. الفرنسية، فان هبة "العطل والضرر" البالغة قيمتها مليار دولار هي قيد التسييل، فيما لا تزال الهبة الايرانية معطلة سياسيا، برغم الحاجة الملحة الى كل طلقة إضافية، مع توزع الجيش على العديد من الجبهات

والظاهر ان مروحة الدعم للمؤسسة العسكرية آخذة في الاتساع، إذ تفيد معلومات ان الاردن أعرب عن استعداده للمساهمة في تسليح الجيش اللبناني

وتؤكد مصادر واسعة الاطلاع ان مفاوضات جرت فعلا بهذا الصدد مع عمان، وهي قطعت شوطا متقدما حتى الآن، مشيرة الى ان السلاح الذي قد يصل الى الجيش من الاردن هو جيد، ومن شأنه ان يعزز قدراته في مواجهة الارهاب

وتوضح المصادر ان هذا الامر بحث بداية خلال زيارة قام بها وزير الخارجية جبران باسيل الى عمان قبيل شهرين تقريبا، ثم جرى استكمال البحث أثناء اللقاء الذي تم في نيويورك على هامش أعمال الجمعية العامة للامم المتحدة، بين الملك الاردني والرئيس تمام سلام

ولاحقا، اجتمع باسيل مع نظيره الاردني في القاهرة، حيث تردد انه تبلغ منه موافقة الاميركيين عبر وزير الخارجية جون كيري على التسليح الاردني للجيش

هذا الـ"داعش".. "ايبولا"

خليل حرب

ما أشبه "داعش" بـ"إيبولا".. فبقدر ما تقرأ عن الفيروس الذي يثير كل هذا الهلع حول العالم، بقدر ما ستجد علامات تشابه بين المرض وبين التنظيم التكفيري الذي ينشر الموت في طريقه.

نقاط التلاقي والتشابه كثيرة. في النشأة، في الاعراض، في أسباب الانتشار والعدوى، وبقدرة الفيروس والتنظيم، على عبور الحدود والتمدد، اينما وجدا بيئة حاضنة.

وكما تقول منظمة الصحة العالمية، فان الظهور الاول لل-"ايبولا" كان في السودان في العام ١٩٧٦. وهناك، في منتصف التسعينيات، استوطن اسامة بن لادن بعد مرحلة "الجهاد" الاولى التي ساهمت في إخراج السوفيات من أفغانستان.

وفي السودان، ساهم بن لادن في تعزيز موارده المالية من خلال الاستثمارات المتنوعة، واموال "الحواضن الدينية" في الخليج الفارسي وغيره، وجمع حوله بعض رفاق السلاح من الجبال الافغانية، لاعادة تنظيمهم في لقاء مهد لاحقا بعد هجرته القسرية الى أفغانستان مجددا، الى تلاقح افكاربينه وبين زعيم "طالبان" الملا عمر ثم ظهور تنظيم "القاعدة" الذي راحت تنبثق عنه خلايا "جهادية" متنوعة عابرة للحدود والقارات.

" فيروس" القاعدة هذا، تكاثر من بالي الاندونيسية الى قندهار الافغانية وبيشاور الباكستانية وبلوشستان الايرانية والانبار العراقية وصولا الى دير الزور السورية وعرسال اللبنانية، بل ابعد من ذلك بكثير، الى مصر والمغرب العربي، حتى نيويورك حين تجسد الفيروس بأقوى صوره في هجمات ١١ ايلول ثم في العراق في ما بعد غزو العام ٢٠٠٣، ثم في سوريا. وها هو في لبنان الآن.

فلكي يكتمل المشهد، أعلن أبو بكر البغدادي، زعيم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق، مدّ نشاطه إلى "بلاد الشام" في نيسان العام ٢٠١٣. لكن صعود "داعش" القوي الى المشهد الاقليمي برز في ربيع العام ٢٠١٤، بالتزامن مع اعلان منظمة الصحة العالمية تسجيل ظهور ال-"ايبولا" الجديد في دول غرب افريقيا في الربيع نفسه، وتحديدا في آذار الماضي.

مجرد تزامن؟ ربما. لكن الاسقاطات تشجع على المزيد. وهذا بعض ما يقال علميا عن فيروس ال-"ايبولا"، ويمكن للمفارقة قراءة العوارض والمسببات بغير معانيها العلمية البحتة. تقول منظمة الصحة العالمية ان فيروس الإيبولا يسبب مرضاً حاداً وخطيراً يودي بحياة الفرد في أغلب الأحيان إن لم يعالج. وتقول المنظمة، في ما تقول، ان موجة العدوى الحالية ل-"ايبولا" اكثر خطورة وانتشارا مما سجل خلال السبعينيات من القرن الماضي، تماما مثلما يمكنك القول ان خطر منظمات الارهاب في السبعينيات، لم يكن بخطورة ما يجري الآن، بتدميره مجتمعات بأكملها.

وتقول "الصحة العالمية"، وهي تتحدث عن "ايبولا" وكأنها تتحدث عن "داعش"، ان الدول الأشد تضرّراً بتفشي العدوى، وهي غينيا وسيراليون وليبيريا، لا تمتلك إلا نظماً صحية ضعيفة جداً وتفتقر إلى الموارد البشرية والبنية التحتية اللازمة، لأنها لم تخرج من دوامة النزاعات وحالات عدم الاستقرار. الا ينطبق ذلك، بشكل او بآخر، على احوال العراق وسوريا ولبنان واليمن وليبيا...؟

وكأنما "ايبولا" و"داعش" شريكان. تصف الامم المتحدة الظهور الجديد للعدوى بانه "تفش صحي عمومي طارئ، يثير قلقاً دولياً". واذا لم تكتف، فخذ عندك المزيد: الفيروس المتفشي حاليا لا يشبه الفيروس الذي ظهر في السبعينيات. وكأنك تقول ايضا ان "داعش" كما يجمع الخبراء والمحللون، وعصابات التكفيريين الحالية، يشكلون موجة ارهابية مختلفة عما سبقها، سواء في قوتها وانتشارها وتنظيمها وادواتها.

ثم ان افكار "داعش" تتناقل تماما كفيروس ال-"ايبولا". فهي تصل الى تجمعات السكان البشرية عن طريق ملامسة دم الحيوانات المصابة بعدوى المرض أو إفرازاتها أو أعضائها أو السوائل الأخرى من أجسامها. الفيروس ينتقل كأفكار التكفيريين التي تضخ في عقول الكثيرين ونفوسهم. ويقول الاطباء ان المشيعين في جنازة يمكن لهم ان يصابوا مباشرة اذا لمسوا جثة مصابة بالفيروس. الا يعد "الداعشيون" كل ما هو حي حولهم بالموت؟

ليس لؤما، وليس في الامر افتراء على "داعش". لعله فقط، افتراء على "ايبولا" الذي برغم كل شيء، يعدنا بالشفاء احيانا.